



امرأة جنوبية تصيح « ما بدنا نكون فرجة العالم... صورتونا كثير وما في نتيجة »

الكاميرا تلتقط تفاصيل الموت: ذاكرة لبنان النارية التي محت ما قبلها



لنا عبد الرحمن*

مشاريعنا للغد، كل الاشياء ينبغي ان يعاد تشكيل علاقتك بها إن كنت تنتمي لبلد يحترق.

عشرون يوماً كانها عشرون عاماً، عشرون يوماً تحول فيها أناس من أسماء الى أرقام، وقالوا عنهم في نشرات الأخبار

730 قتيلًا لبنانياً و420 جريحاً حصيلة 20 يوماً من القصف، لثمنهم من الأطفال بعد الموت الجماعي الذي حدث تغيب

حكايا الناس معهم وتلاشي فلا تعرف عنهم الا أنهم يشكلون رقماً ضماً ضحايا الحرب. ماذا تعرف عن الذين قتلوا في «قانا» ومن

بقي تحت الأنقاض بينهم ثلاثون طفلاً، يتم استخراجهم على دفعات؟ يا للخيال من سنواتهم التي لم تعرف الخطيئة بعد...

أرقام... أرقام... يتحول قتلى مجزرة «قانا» الى أرقام، ويتفرج العالم على قتل الأطفال في «قانا» وأكثر ما يقومون به هو سماع الرقم ومقارنته برقم وارد على فضائية

أخرى..... «قانا» الأولى، «مروحين»، «عين عرب»، «جنين» من قبل، «غزة»، «الآن» كيف للذاكرة احتمال تختر كل هذه الدماء؟

رويدا رويدا تتداخل الأسماء والوجوه، ونحن نتحدث الأحداث تتحول الأشياء الى أرقام، ولا يظل في واجهة الحدث إلا أسماء قليلة تعلق في ذاكرة الصورة لشدة ما فيها

من بشاعات الحرب ومدويتها. كل شيء فينا كان يتحول ويتخذ شكلاً آخر، لغتنا افكارنا، ما كانت احلامنا سابقاً،

تعرف عن 26 شخصاً قتلوا سوى رقمهم؟ وماذا تعرف عن ضحايا القصف على «عيترون»، وعلى «بنيت جبيل»، «ويارون»

و«صور» و«الضاحية الجنوبية»، وعن الحاصرين في قرى الجنوب وفي مخيم عين الحلوة في صيدا، هذا الخيم الذي استضاف

عائلات لبنانية نازحة من الجنوب، ليزيدوا نزوحاً على نزوح، ولجؤا على لجوء؟ ماذا تعرف عن الصامدين في غزة أمام

الديابات الإسرائيلية؟ ماذا تعرف عن الطفل «حسين»، الذي مات اهله أمام عينيه ولم يبصر إلا أشلاء جثثهم المتناثرة، والطفلة

هند وكوك ذات العام الواحد التي ماتت في أختها ماري في حضن أمهما؟ عالم يعرف من حولنا، ليس العالم كله بل

علنانا نحن، وسائر العوالم تتفرج علينا... تتفرج على قتلنا ودمارتنا وتشريد أطفالنا وإحراق بيوتنا.

ترفع يد امرأة جنوبية في وجه الكاميرا ترفض التصوير، تصرخ «ما بدنا نكون فرجة للعالم... صورتونا كثير وما في

نتيجة... ميكية كانت حركات المرأة، موجه صوتها حد العطب، وحد تفتق الروح، ونظن نحن في حرقه العجز عن الحركة، والعجز

الاحمر الذي سال من قبل لم يكن كافياً للتبؤ كيف سيكون الغد فيها. بدأت الحرب بحجة «سريين» رقمين لا

نعرف عنهم سوى انهم «جنديان إسرائيليان». ومقابل هذين الرقمين بل مقابل كل رقم منهما هناك مئات من القتلى والجرحى وآلاف المشردين من منازلهم

والنازحين عن قراهم. «ايما» التي انجبت طفلها في اليوم

الأول من الحرب ثم نزحت عن قريتها الجنوبية الى بيروت سكنت هي وطفلها

الرضيع في مدرسة، أما «أم خليل» فهي أم لخمسة بنات وصبي واحد وقد هجرت من

«عيترون» الى بيروت التي لا تعرف أحداً تلجأ اليه سكنت حديثاً عامة

ونامت هي وبناتها في العراء، لكن «أم جاندارك» المرأة السبعينية رفضت

مغادرة المربع الأمني في الضاحية الجنوبية، وبقيت مع جارتها «أم حسين» في مربع الخراب حيث الجثث الساخنة

تحت الكمام، «أم جاندارك» لا تهتم وتعلن أنها صامدة في فيونها إذ لا مكان تذهب اليه.

أما «زينب فاخوري» في «صور» فقد ظلت عشرة أيام تحت الأنقاض وعجزت فرق

الدفاع المدني عن إنقاذها، وفي الوقت الذي صعدت فيه روحها الى السماء ظل جسدها

كيف من الممكن مقاومة هذه الذاكرة، كيف سننسى الأجساد والأسماء والوجوه التي عرفناها، طفل ضل الطريق الى أمه، وأما

تبحث عن أطفالها، وامرأة تطلب المساعدة لزوجها المشلول.... وكيف سننسى المنازل

الخمسة التي هدمت على رأس قاطنيها، الذين «عين عرب»، أم أطفال «التمريية» الذين

ظنوا أنهم بمنأى عن طائرات القصف الاسرائيلية فإذا بها ترهمهم بصواريخ خلال

لعيمهم في الملجأ مع رفاق لهم؟ هل من الممكن أن تعود حياتنا الى ما كانت

تداعيات

مرحبا بضمير الأمة وصوت وجدانها

د. عبد العزيز المقالح

■ في صنعاء ام العواصم العربية تاريخياً، تتجمع قيادات الابداع الأدبي الثقافي ممثلة في اعضاء المكتب الدائم للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب. ويأتي الاجتماع في وقت دام عصب تدب فيه القيادات السياسية العربية منقسمة حول المقاومة المشروعة بين مؤيد ومعارض أو بالاحرى ومشكك. ولان المبدعين هم ضمير الأمة وصوت وجدانها الذي لا يخطئ فسيتكون في اجتماعهم ما قد يشكل القول الفصل لقطع دابر الاختلاف سيما بعد النصر

العلمي الذي حققته المقاومة وهي شريحة صغيرة من شعبين صغيرين هما فلسطين ولبنان، وما يترتب على هذا الانتصار من امثلة جديدة بالاشادة والافتداء.

وإذا كان لا بد من بيان أو برقية يتوجه بها المبدعون المجتمعون الى القيادات السياسية العربية المنقسمة على نفسها فليس افضل من التوقف عند حكمة خالدة للامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وقد ظلت هذه الحكمة - بسبب غياب القراءة - في طي النسيان، وهي: «اصدقائي ثلاثة: صديقي، وصديقي صديقي، وعدو عدوي. واعدائي ثلاثة: عدوي، وصديقي عدوي، وعدو صديقي». وفي ضوء هذه الحكمة الخالدة التي ارجو ان لا تصل الى عرب

اليوم متأخرة. كان ينبغي ان يؤسسوا علاقاتهم الراهنة بدول العالم أجمع، وان يستخلصوا منها مواقفهم السياسية والاقتصادية قبل ان يدخلوا منغافهم الاخير في ساحة العصر الذي بات يرفضهم لاسباب

صنعواها بأيديهم وايدي الآخرين من اعدائهم الذين كنا وما نزال نرصد على ايقاع طولهم ونحن ندرى او لا ندرى.

وفي هذا الصدد ما اوجع الامم التي ارمقتها الخلافات الثائوية ومزقتها حملات التشكيك المنظمة، ما اوجعوا الان، وفي هذا الظرف العصيب الى

وقفة مع تلك الحكمة الخالدة التي تضع النقط على الحروف وتؤسس لعلاقات عربية قائمة على اجندة شديدة الوضوح تدعو الى مراجعة عالية

وصريحة لفرض الاعداء من الاصدقاء وتصحيح واقتناء المغلوط الذي يجد البعض فيه انفسهم وقد صاروا - دون ان يعلموا - في صفوف الاعداء يرمون

بسهامهم ويستخدمون اسلحتنا لصالحهم وذلك غاية ما يتعمناه الاعداء ويتربصونه ويعملون على تاكيدهم بكل ما امتلكوه من وسائل اعلام ظاهرة

وخفية لا هم لها سوى العزف على نغمة تشاز واحدة على اوتار الطائفية والمذهبية.

ومما لا يقبل الشك والجدل ان ما يحدث في لبنان اليوم من مقاومة العدوان الصهيوني هو عمل يرتقي الى اسمى معارج الجهاد في سبيل الامة والوطن العربي والمستضعفين من ابناؤه، وما يحدث ايضا في فلسطين من صمود

وصبر على البلوى وتحمل العدو بفوق ما اختزنته آداب العالم من ملاحم الشعوب المدافعة عن الارض والكرامة. والقائمات اللبنانية والفلسطينية

تؤكدان - وهما في خندق عربي مشترك - على ان الخلافات المذهبية شأن عارض، واجتهادات لا تمنع من التوحد في مواجهة الاعداء، والمذهب ليست

كما يقول العلماء الاعلام - سوى اجتهادات تتناول الفروع الاصول وتقف عند العرض لا الجوهر الثابت والجامع في العقيدة الواحدة، وامهيتها تتمثل

في تاكيدها على مبدأ التعددية ومفهوم الراي والرأي الآخر في إطار من الهوية الروحية الواحدة.

ومن المحزن ان بعض الانظمة العربية لم تترك بعد ان الفرد العادي من مواطنها صار الان اكثر استنارة ووعياً بما يحدث له او يحدث حوله، وانه

صار يمتح تأييده المطلق لكل من يقذف عنه امته بحجر سواء كان هذا العدو في فلسطين او لبنان او العراق او في أي مكان من ارض العرب خاضع

للاحتلال. وإذا كان بعض الحكام قد نجحوا بالامس القريب في تضليل شعوبهم واللعب على الخلافات الثائوية مذهبية او سياسية، فإن هذه

الشعوب شبت تماماً عن الطوق وصار الواقع امامها افقاً مفتوحاً تقرأ فيه الحقائق بالعين المجردة ولا تحتاج الى تاويلات المغتربين والمفسرين.

تأملات شعرية:

ليست الارض من يتحرك
تحت سماء الظهيرة،
والدم هذا الذي يتفرق

ليس دم الشجرات
ولكنه دم أطفالنا،
والبيوت

شمسنا العربية عادت من الأسر
كانت تعاني
ولكنها ابداً.. لن تغيب

وهيئات.. هيئات ان تخفي
او تموت.

عليه قبل الحرب، وأن نتحرر من سلطة قنات الجزيرة، ومن قلقنا على وليد العمري وكاتيا وعباس ناصر وبشرى عبد الصمد، هؤلاء الذين أصبحوا جزءاً رئيسياً من يومنا ووقتنا؟

قبل انتهاء الاسبوع الثالث صار نصف لبنان مدمراً، ونصف اهله لاجئين

ومشردين، غادر البلد من استطاع مغادرتها، ومن بقي صار مهددا بالموت والتشوه وفي

احسن الاحوال بالجوع والابوة، أما أطفال لبنان فإنهم جوع آخر لن

يبتئهم، ماذا ستذكر الطفلة «لاء» ذات السبعة أعوام عن طفولتها وهي تحكي أمام

عدسات الكاميرا كيف تهدم منزلهم، وكيف هربوا من القصف؟ بأي المساعدات ستتمكن

الدول التي ترسل مهناتنا للغاء العنف من ذاكرة الطفولة؟ هل المساعدات المادية هي

التي يحتاجها الأطفال حقاً سلامتهم؟ هل يكفي الحليب والخبز لزراعة الأسمان في

قلوبهم؟ ينبغي علينا الاعتراف لانفسنا ان ما حصل خلال الاسبوع الماضية هو الذاكرة

العقابية الندية النارية التي محت كل ما قبلها، وكما لو أنها وصلت حرباً بحرب،

وذاكرة وجع سابقة بذاكرة نعيشها الان، كان العمر الذي مضى قبل هذه الحرب كان

خيالاً وهماً، وكان حقيقتنا الوحيدة وقد رتنا ملاحق بحروب وجوازات لتنتهي لتبدأ

غريها. * كاتبة من لبنان

«سينما المقاومة» في برنامج خاص بمهرجان الاسكندرية السينمائي



لقطة من فيلم «باب الشمس» (القدس العربي)

■ القاهرة- رويترز: يعرض مهرجان الاسكندرية السينمائي الدولي الشهير القادم عشرة أفلام عربية وأجنبية ضمن برنامج «سينما المقاومة» الذي يتضمن أيضاً مائدة مستديرة يتحدث فيها سينمائيون عن افلامهم في ضوء «الهجوم الاسرائيلي على لبنان» منذ نحو شهر.

وقال سمير شحاته المدير الاعلامي للمهرجان في بيان ان المهرجان الذي سيبدا دورته الثامنة والعشرون في الخامس من

سبتمبر لايول القادم ان الافلام العشرة التي ستعرض ضمن هذا البرنامج أنتجتها عشر

دول عربية وأجنبية هي لبنان وفلسطين ومصر والمغرب وسوريا ولبنان وفرنسا

والمانيا وبريطانيا وهولندا، والافلام العشرة هي «عرس الجليل» للفلسطيني ميشيل خليفي

و«كفر قاسم» للبناني برهان علوية و«نزار النار» للبناني بهيج حبيج و«باب الشمس» للمصري عاطف الطيب و«يد الهبة» للفلسطيني ايليا سليمان و«الجنة الان» للفلسطيني هاني أبو أسعد و«حتى اشعاع

اخر» للفلسطيني رشيد مشهراوي و«الخدوعون» للمصري توفيق صالح اضافة الى الفيلم الوثائقي «يوميات بيروت.. الحقيقة

والسراب» للفلسطينية في مصري، ويعد «المخدوعون» وهو انتاج مؤسسة السينما

السورية اقدم هذه الافلام حيث أنتج في مطلع السبعينيات. أما أحدثها فهو «الجنة الان» وهو

انتاج هولندي وحصل على جوائز منها أفضل فيلم اجنبي في مسابقة الجولدن جلوب كما

رشح لجائزة الاوسكار كأفضل فيلم اجنبي. وقال شحاته ان المهرجان الذي يستمر حتى العاشر من سبتمبر ينظم مائدة مستديرة حول «سينما المقاومة» ويتحدث فيها المخرج اللبناني جان شمعون والمخرجة في مصري والممثل المصري نور الشريف والمخرج السوري

رافع شركس والممثلة الايطالية ماريا تاوتشي والمخرج الصربي اولج فوفكوفيتش والمخرج

- ما رايك لو كثيرا هذه؟

- لا بأس بها...

قامت من على السيرير المزروع بعشرات الصور، لكي تربي الصورة التي نالت رضاها.

- جئت المدعوات لما رايتها، واصفرت وجوههن غيرة وحسدا، وأنت تقول لا بأس بها؟

- حبيبتي، اختيارك لا غبار عليه، ولا يناقش، وأنا

أثق في ذوقك...

لكنها ظلت متضايقة من تقييمي الذي بدا لها متواضعا، بل ومقصرا، ولا يفي ذوقها حقه من الروعة... يا غيبي، بما أنها اختارت هذه الصورة،

فأفهم أنها رأت فيها نفسها الأجل والأحلى، وكان جدر بك ان تثني على جمالها فيها، وحسن اختيارها لها... عادت إلى السيرير فزأيت لوما وسخطا

يتبرعمان في عينها، دست على (فويباي)، واقتربت منها لأهدئ اللعب، وأتدارك انقلات الأمور:

- أين الصورة حبيبتي؟

- تجاهلتي...

- أرتي الصورة حبيبتي.

استطال وجهها من الاستياء، لكنها مدت لي

الصورة دون أن تتكلم.

- والله رائعة... أنت أقصد...

أحدث مشروع ابتسامة انقلابا جميلا في وجهها...

ربما هذا ما كانت تبحث عنه.

لا شعوريا... وهذا ما حفظ ماء وجه الليلة...

* كاتب من المغرب

Kaouachi_06@hotmail.com

الصورة

نص

نجيب كواشي*

■ لدي حساسية غريبة من الصور... صوري

أقصد.. لا أحب نفسي فيها، ولا احتفظ بها كالتاس...

أتهرب من عدسات آلات التصوير كما أتهرب من الجذام... تصورا!! صوري الوحيدة، لا توجد إلا في

بطاقة التعريف، وبطاقة العمل... وحتى عندما أخذت لي، كنت كمن يتجرع اودية مرة... عادة، لا أحمل معي

هذه الولاثق... عدم حملها اجبرني ذات مرة، لسوء حظي، على مرافقة رجال الشرطة، بدعوى التحقق

من هويتي... لا بد من أخذ الصور... يا الهي.. يتولد لدي دائما إحساس رهيب بأنني عار، أمام الآخرين،

كلما كانت تؤخذ لي تلك الصور... حاولت ألا أبدو متوترا، وأن ألبس قناع البشاشة.. إنها ليلة عمرنا،

ولكي لا تصليني زوجتي بعد ذلك، باللوم الأبدي... عشرات الصور... كأنها عشرات الجلادات...

×××

أخذت زوجتي اليوم الصور، وشرعت تختار من بينها، تلك التي بدت فيها الأجل، والتي سترى أنها

تصلح للتكبير والتعليق على جدار الصالون... دعنتي أن أشاركها فحص الصور، حتى نتفق على واحدة،

لكنني تهربت من هذا الطقس المرير... سوف أتعرض للومها إذا لم أبحث بسرعة عن ذريعة، مهما كانت

واهية... المهم أن تكون مقبعة...

- لدي شمسغل،